الفدائيين انفسهم . كما ان بوير بيل يقع ضحية التباس لفظي ، فهو لا يميز بين نوعين من المقاتلين : رجال العصابات الذين يتمركزون ويعملون **خلف** خطوط العدو ، والفدائيين الذين يتمركزون بعيدا عن خطوط العدو وينفذون عملياتهم من نوع اضرب واهرب في **قلب** هذه الخطوط . والالتباس في التفكير والتحليل الذي يؤدي اليه غياب هذا التعريف يتضح من خلال الاسطر التالية (ص ٢٠١) : « ومع هذا ، رغم الاعجاب الظاهر بالمقاومة في الضفة الغربية ركزت حركة الفدائيين على خط حرب العصابات بدلا من العصيان المدني او العمليات الارهابية المتفرقة . وبالنسبة للفلسطينيين فان البطل الحقيقي هو ذلك الفدائي الكامن في الجبال بزيه المموه ورشيشه من طراز أ.ك ــ ٤٧ ، وعملياته من نوع اضرب واهرب ، ولكن هناك عددا قليلا من الفدائيين في الجبال ، ولم يكن عددهم كثيرا في اي وقت من الاوقات » . واول ما يمكن اثارته هو ان تعبير خط حرب العصابات ينم عن جهل بالحقيقة ، ويجب استبداله بتعبير « خط عمل الكوماندوز » ، وهنا أود أن أشير الى أن الدكتور هشام شرابي ، في احدى كتاباته عن « العصابات الفلسطينية » قد وقع في هذا الالتباس عندما استخدم اكثر من مرة تعبير « العصابات » وهو في الحقيقة يريد ان يقول « الكوماندوز » . لذلك فانه عندما يكون هناك التباس في التعابير ، وبالتالي في المعاني والافكار ، فان ذلك من شأنه ان يجعل التحليل اقل وضوحا دون ان يكون مضللا . الا انني اظن بأن استخدام « العصابات » عوضا عن « الكوماندوز » في كثير من الاحيان يرجع الى ان للاولى دلالات اكثر اجلالا ورومانسية ، وايضا ربما لان استخدام تعبير « العصابات » كثيرا من شأنه ان يخفي الحقيقة المثبطة للعزائم بأن هناك القليل من العصابات في الجبال ، كما أن عددهم لم يكن كثيرا في اي وقت من الاوقات . وبالاضافة لما سبق ، لا يسعني الا ان اعرب عن الاسف لاستخدام تعبير « فدائيين » وذلك لان للدقة المتناهية اهميتها القصوى في الامور العسكرية ، وهذا التعبير ليس فقط مبهما وغير دقيق ، بل انه عبارة عن شعار عاطفي . وعلى حد علمي ايضا فان لكلمتي « عصابات » و« كوماندوز » مرادفات دقيقة في العبرية ، ولا تخلو العربية من ذلك .

وفي الفصل الاخير يسير بوير بيل على خطين فكريين متناقضين ، فتراه يكرر ويلخص رأيه عن فشل الامثلة الثلاثة التي أوردها ، ومن ثم يصدر الحكم القاسي التالي على المقاومة الفلسطينية : «لقد نجح الفدائيون فقط في زيادة قلوب الاسرائيليين قسوة ودفعوهم الى تحسين وسائلهم الدفاعية ، كما انهم حددوا من خياراتهم الاستراتيجية لدرجة اصبحوا معها غير قادرين على تأمين حتى نصف ما يريدون . ولم يكن خيار حرب العصابات بالنسبة للفلسطينيين افضل خيار ، او الخيار الاخير ، بل أسوأ خيار، وكذلك بالنسبة للفدائيين الذين كرسوا انفسهم لازالة اسرائيل لم يكن ذلك بالضرورة افضل خيار ، وذلك على اعتبار ان هذا الخيار طرح وسائل الارهاب لحل القضايا الداخلية والمزج بين العمل الديبلوماسي والعنف لتحقيق اقصى ما يمكن من التأثير . ولم يكن اعتماد خيار حرب العصابات نتيجة تخطيط ودراية استراتيجية بل نتيجة لليأس.» ان هذا الحكم الذي يجمع العمل المباشر والخيارات اللاعنفية يناقض ما يقوله بوير نفسه في مكان سابق من ان الفلسطينيين اضطروا الى اللجوء الى العمل المباشر كخيار وحيد وأخير . وما يخفق المؤلف في ايضاحه هنا هو انه كان امام الفلسطينيين **انواع** مختلفة من العمل **المباشر** ولكنهم اختاروا التركيز أولا ولفترة وجيزة على حرب العصابات ومن ثم على عمل الكوماندوز بشكل رئيسي ودون استثناء تقريبا . وبسبب عدم ترابط افكار المؤلف لا يمكننا ان نتوقع منه تعدادا دقيقا وشاملا لخيارات العمل المباشر التي واجهها الفلسطينيون ولا يزالون ، وهي : العصيان المدني على الصعيدين الفردي والجماعي ، والتخريب الصناعي ، والارهاب الشخصي وغير الشخصي ، وحرب العصابات (جميع هذه الاشكال تحدث داخل اراضي العدو)، واخيرا عمل الكوماندوز من الخارج .

وعلى اي حال ، بعد هذا التلخيص الذي من شأنه تحطيم المعنويات ، يعمد المؤلف الى تقديم تكهن يبعث على التفاؤل بالنسبة لاثار العمل الفدائي في المستقبل : وهو انه يمكن ان لا ينجم عن العمل الفدائي الكثير على اساس المكاسب الاقليمية الملموسة ، ولكنه على يقين بأن هذا العمل احدث تحولا في الشعب الفلسطيني ككل ، بأن جعل مصيرهم بأيديهم ، وفرديا ، ولو لفترة وجيزة ، بأن فسح المجال امام كل منهم « ليعيش كانسان » .

ج. هـ. جانسن